تعليم الحكمة في الجامعات الإسلامية "تخصص العقيدة وأصول الدعوة أنموذجا" [1]

د. إبراهيم عبدالله سلطان
قسم أصول الدين/كلية علوم الشريعة/ جامعة المرقب

المقدمة:

يتركز هذا البحثُ حول: تعليم الحكمة في الجامعات الإسلامية "تخصص العقيدة وأصول الدعوة أنموذجا" في إطار ما اصطلح على تسميته بتجديد الفكر الإسلامي المعاصر. ذلك أن المسلمين قد عرفوا الحكمة بوجه عام من خلال التجارب الإنسانية الطويلة، وذكاء أهل العقول، أو من خلال اطلاعهم على الرسالات السماوية السابقة للقرآن بالإضافة إلى ما تضمنه القرآن والسنة من حكمة، كقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: 164] يقول ابن عاشور في بيان الضلال الوارد في الآية «المراد به ضلال الشرك والجهالة والتقاتل وأحكام الجاهلية»[2]. وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[البقرة: 269]. وقال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: 125] وقال الرسول ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[3]. وورد في الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»[4].

أما حكمة اليونان وما شابهها[5] فلم تكن معروفة لديهم في بادئ الأمر، بل كانت من نتاج ما تُرجم للعربية لا سيِّما في عهد الدولة العباسية -وبخاصة في عصر الخليفة المأمون (ت: 218هـ)- عندما بدأت في الظهور طائفة من المفكرين الإسلاميين تحت اسم الحكماء كالكندي (ت: 260هـ) والفارابي (ت: 339هـ) وابن سينا (ت: 428هـ) وابن رشد (ت: 595هـ) وقد أخذ الحكماء الإسلاميون بالحكمة لما تحتويه من أصول رفيعة وكمال عقلي، جعلهم حريصين على أن يقرِّبوا حكمة اليونان وما شابهها للمسلمين ويعرِّفوهم بها، فبذلوا في

ذلك جهودا مُضنية، غير أن كثيرا من المسلمين وقفوا من تلك الحكمة المعربة –وبخاصة اليونانية– موقف الريبة والحذر؛ لأنهم رأوا أنها أقرب إلى الروح الوثنية التي تختلف عن روح الإسلام، ذلك أن الحكمة المعربة تناقض روح الإسلام في المصدر والمنهج والغاية لقيامها على العقل المحض وتعدد الآلهة، وعدم ارتباطها بالوحي، وعدم الإيمان بالبعث، وهي أصول رئيسة في عقيدة الإسلام التي تنطلق من الوحي والحاجة إلى الرسل، وتقوم على التوحيد والإيمان بالبعث والحساب يوم القيامة.

وفي هذا السياق تبرز مشكلة الخلط بين الفلسفة والحكمة، وعدم التفريق بينهما، ذلك أن الفلسفة تعني محبة الحكمة، وهي البحث عن الحقيقة، أو ما وراء الطبيعة، والفيلسوف هو المحب للحكمة[6] بينما الحكمة تعني: وضع الشيء في موضعه[7] أو هي: العلم بالشيء، والحلم، والأناة[8] كما سيأتي في هذا البحث من خلال التعاريف السابقة أنه يوجد اختلاف بين الفلسفة والحكمة، ولكن لا يوجد اختلاف بين الحكمة بوجه عام والحكمة الدينية بوجه خاص ورغم هذا فقد حاول بعض الحكماء المسلمين التوفيق بين فلسفة اليونان وما شابهها والشريعة الإسلامية ما ألجأهم إلى التشبه بالفلاسفة في تحرير مسائل الاعتقاد، الأمر الذي أدى إلى محاربة الفلسفة في المجتمع الإسلامي والتحذير من خطرها، واتهام من يتعاطاها بالزندقة، بل وصل الأمر إلى حد أن قيل: إن الغزالي (ت: 505هـ) بتأليفه كتاب "تهافت الفلاسفة" قد وجه ضربة قاصمة للفلسفة في الشرق، وإن ابن رشد بتأليفه كتاب "تهافت التهافت" الذي ردَّ فيه على الغزالي هو آخر الفلاسفة الإسلاميين، وفي الحقيقة فقد حدث خلط بين مصطلحي الحكمة بوجه عام والحكمة الإسلامية بوجه خاص من جهة وبين مصطلح الفلسفة من جهة أخرى؛ ذلك أن الغزالي على افتراض أنه ضرب الفلسفة في الشرق ضربة قاصمة، فإنه قد ضرب فلسفة اليونان –وما شابهها– القائلة بقدم العالم، وبعث الأرواح دون الأجساد وعلم الله تعالى بالكليات دون الجزئيات، ونظرية الفيض، وتناسخ الأرواح، وهلم جرا...، ولم يضرب الحكمة بوجه عام، ولم ينوها بسوء، وبخاصة الحكمة بمعناها الإسلامي فقد ظل تأثيرها موجودا في كثير من مجالات الحياة، وقد قوي هذا التأثير حديثا على يد بعض رجال النهضة الحديثة أمثال الشيخان: عبد الحميد ابن باديس (ت: 1940م)، ومحمد الطاهر بن عاشور (ت: 1973م) وغيرهما. ذلك أن الإسلام لا يحجِّر

النظر والفكر، بل يدعو إلى ذلك في كثير من آيات القرآن، والسنة الصحيحة، وهو ما سيتم تعزيز الدعوة إليه في هذا البحث المتواضع من خلال المطالبة بتعليم الحكمة للمتخصصين في العقيدة وأصول الدعوة في الجامعات الإسلامية، وفي هذا السياق يمكن صياغة مشكلة البحث على هيئة التساؤلات الآتية:

1- ما الفرق بين الحكمة والفلسفة؟

2- ما مفهوم الحكمة في اللغة والاصطلاح؟

3- ما أصول الحكمة؟

4- ما طرق اكتسابها؟

5- ما أهمية الحِكْمَةِ للمعلمين والمتعلمين؟

6- ما الحكمة في نظر المتخصصين؟

وبناء على ما سبق من تساؤلات فإن أهداف هذه الدراسة تتمثل في:

1- بيان الفرق بين الحكمة والفلسفة.

2- بيان مفهوم الحكمة في اللغة والاصطلاح.

3- بيان أصول الحكمة.

4- بيان طرق اكتساب الحكمة.

5- بيان أهمية الحِكْمَةِ للمعلمين والمتعلمين.

6- بيان الحكمة في نظر المتخصصين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في معالجة إشكالية تتعلق بتعلم الحكمة وتعليمها، على ضوء مدح القرآن والسنة للحكمة وضرورة تعلمها، ومن ناحية أخرى بيان علاقة الحكمة بالفلسفة في إطاري إقناعي، يمكن المسلمين من الاستفادة من الحكمة قدر الإمكان، ويجنبهم مضار الاختلاف جراء ربط بعضهم الحكمة بالفلسفة؛ إذ كيف يمكن المساواة بين الحكمة التي تقوم على التوحيد، ويؤتيها الله من يشاء، ويأمر باستخدامها في الدعوة إليه، وبين الفلسفة التي تقوم في جوانب منها على تعدد الآلهة والقول بعلم الله بالكليات دون الجزئيات والقول بقدم العالم.

منهج البحث:

تم استخدام المنهج الاستقرائي، من خلال تتبع بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بالحكمة بغية الكشف عن مفهومها، وأصولها، وكيفية اكتسابها، وأهميتها، كما تم استخدم المنهجين التحليلي والتركيبي، ثم المنهج البنائي الذي استخدم في صياغة الأفكار وكتابتها من جديد.

هيكلية البحث:

يتكون البحث بعد المقدمة من خمسة مباحث، وخاتمة.

فالمقدمة: تتضمن إشكالية البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهج الدراسة، وهيكلية البحث.

المبحث الأول: مفهوم الحكمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أصول الحكمة.

المبحث الثالث: طرق اكتسابها.

المبحث الرابع: أهمية الحِكْمَةِ للمعلمين والمتعلمين.

المبحث الخامس: الحكمة في نظر المتخصصين.

الخاتمة: تتناول أهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

المبحث الأول: تعريف الحكمة في اللغة وفي الاصطلاح.

جاء في معجم مقاييس اللغة أن: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَةُ الدَّابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حَكَمْتُ الدابة وأَحْكَمْتُهَا ويقال: حَكَمْتُ السفيهَ وأَحْكَمْتُهُ إذا أخذت على يديه، والحِكْمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل»[9]. وجاء في لسان العرب: أن معنى الحِكْمَة لغةً: الحَكَمَةُ، وهو ما أحاط بحَنَكَيْ الفرس، سُمِّيتْ بذلك؛ لأنَّها تمنعه من الجري الشَّديد، وتُذلِّلُ الدَّابَّة لراكبها، حتى تمنعها من الجِماح[10]، ومنه اشتقاق الحِكْمَة؛ لأنَّها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل. وأَحْكَمَ الأَمْرَ: أي أَتْقَنَه فاستَحْكَم، ومنعه عن الفساد أو منعه من الخروج عمَّا يريد[11]. فالشيخ الْمُجَرِّبُ: المنسوب إلى الحِكْمة. والحِكْمَةُ: العدل، ورجل حَكِيمٌ عدل حكيم، وأَحْكَمَ الأَمر أتقنه، وأَحْكَمَتْه التجاربُ على المِثَل، وهو من ذلك، ويقال للرجل إذا كان

حكيماً قد أَحْكَمَتْه التجارِبُ، والحكيم الْمُتْقِنُ للأُمور[12]. ويطلق الحُكم في اللغة – كذلك– على القضاء، يقال: حَكَم عليه بالأمر حكماً وحُكومة إذا قَضَى عليه، ومن صفات الباري سبحانه: الحَكَم والحاكم؛ أي: القاضي، وبمعناهما: الحكيم؛ لكونها على وزن فعيل؛ بمعنى: فاعل[13]. وهذا المعنى يرجع إلى الأول بالنظر إلى أن الحاكم يمنع الظالم[14]. أما الْحِكْمَةُ في الاصطلاح فلها معانٍ عدة من أهمها:

1– أنها تعني: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ولذا يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، وحكيم هنا على وزن فعيل؛ بمعنى: مُفْعِل[15]. وقد يعبر بها أحياناً عن العدل، فيقال: رجل حكيم؛ أي: عدل[16]. ويقول الجرجاني: «الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضاً هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفرط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها»[17]. وهي بهذا التعريف تشمل كافة التصرفات الموزونة الناشئة عن علم ومعرفة وتجربة من الأقوال والأفعال وغيرها.

2– أنها تعني السُّنَّة، وبيان الشَّرائع: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[البقرة: 129]. وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 151]. يقول ابن القيِّم: «الحِكْمَة في كتاب الله نوعان: مفردة ومقترنة بالكتاب. فالمفردة فُسِّرت بالنُّبُوَّة وفُسِّرت بعلم القرآن. قال ابن عباس: هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومُحْكَمه ومُتَشَابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقال الضَّحاك: هي القرآن والفهم فيه. وقال مجاهد: هي القرآن، والعلم والفِقْه. وفي رواية أخرى عنه: هي الإصابة في القول والفعل. وقال النَّخعي: هي معاني الأشياء وفهمها. وقال الحسن البصري: الورع في دين الله. كأنَّه فسَّرها بثمرتها ومقتضاها. وأما الحِكْمَة المقرونة بالكتاب فهي السُّنَّة. كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة. وقيل: هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسُّنَّة أعم وأشهر»[18].

3– أنها تعني النُّبُوَّة: قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو

فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]. وقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20]. وقال: ﴿وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[الزخرف: 63].

4- أنها تعني الفِقْه في الدين: قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

5- أنها تعني الفَهْم، وحُجَّة العقل وفقًا للشَّريعة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

6- أنها تعني العِظَة: قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[القمر: 5]. وقال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل: 125]. فقوله: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: بالموعظة المحْكَمة الصَّحيحة. وهو الدَّليل الموضِّح للحقِّ، المزيح للشُّبهة [19]. وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269]. «أي: أنَّه تعالى يُعطي الحِكْمَة والعلم النَّافع المصرِّف للإرادة لمن يشاء من عباده، فيميِّز به الحقائق من الأوهام ويسهل عليه التَّفرقة بين الوسواس والإلهام وآلة الحِكْمَة، العقل المستقل بالحكم في إدراك الأشياء بأدلتها، على حقيقتها، ومن أُوتي ذلك عرف الفرق بين وعد الرَّحمن ووعد الشَّيطان، وعضَّ على الأوَّل بالنَّواجذ، وطرح الثَّاني وراءه ظهريًّا»[20]. وقال أبو إسماعيل الهروي: «الحكمة اسم لأحكام وضع الشيء في موضعه، وهي على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده، ولا تعجله وقته. والدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعيده، وتعرف عدله في حكمه وتلحظ بِرَّهُ في منعه. والدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشارتك الغاية باب البصيرة»[21]. وقال النَّووي: «الْحِكْمَةُ عِبَارَة عَنْ الْعِلْم الْمُتَّصِف بِالْأَحْكَامِ الْمُشْتَمِل عَلَى الْمَعْرِفَة بِاَللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْمَصْحُوب بِنَفَاذِ الْبَصِيرَة، وَتَهْذِيب النَّفْس، وَتَحْقِيق الْحَقّ وَالْعَمَل بِهِ وَالصَّدّ عَنْ اِتِّبَاع الْهَوَى وَالْبَاطِل. وَالْحَكِيمُ مَنْ لَهُ ذَلِكَ»[22]. وقال ابن القيِّم: «الحِكْمَة: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[23]. وقال السعدي: «إنَّ من آتاه الله الحِكْمَة فقد آتاه خيرًا كثيرًا، وأيُّ خير أعظم من خير فيه سعادة الدَّارين، والنَّجاة من شقاوتهما! وفيه التَّخصيص بهذا الفضل، وكونه من ورثة

الأنبياء، فكمال العبد متوقِّف على الحِكْمَة؛ إذ كماله بتكميل قوَّتيه العلميَّة والعمليَّة، فتكميل قوَّته العلميَّة: بمعرفة الحقِّ، ومعرفة المقصود به، وتكميل قوَّته العمليَّة: بالعمل بالخير وترك الشَّر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك»[24]. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12]. «يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لُقْمان بالحِكْمَة، وهي العلم بالحقِّ على وجهه وحِكْمَته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالمًا، ولا يكون حكيمًا»[25].

7- من جهة أخرى هناك من يرى أن الْحِكْمَة في الاصطلاح الشرعي تطلق على العلم والفقه المستند إلى النظر الخاص والفهم الدقيق، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[البقرة: 269] وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[لقمان: 12]. ويقول الإمام مالك: «إن الحكمة مسحة مَلَكٍ على قلب العبد» وقال: «الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد» وقال: «يقع بقلبي أن الحكمة الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله»[26]. ويرى الإمام الشافعي أن الحكمة إذا قرنت بالكتاب في آيات القرآن فالمراد بها السنة يقول الشافعي: «فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سنة رسول الله ﷺ»[27].

8- هناك من يرى أن الْحِكْمَة كثيرا ما تستخدم عند علماء الأصول في باب القياس في تعليل الأحكام فبعضهم يتوسع في معناه فيجعله مرادفاً للمصلحة[28]. يقول الرازي: «الحاجة إلى تحصيل المصلحة ودفع المفسدة، وهي التي يسميها الفقهاء بالحكمة»[29]. ويقول نجم الدين الطوفي: «هِيَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنَ التَّعْلِيلِ؛ وَهِيَ جَلْبُ الْمَصْلَحَةِ، أَوْ دَفْعُ الْمَفْسَدَةِ »[30]. ويقول المناوي: الحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل؛ فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات بها، والحكم أعم من الحكمة؛ فكل حكمة حُكم، ولا عكس؛ فإن الحكم له أن يقضي على شيء بشيء، فيقول: هو كذا أو ليس بكذا، ومنه حديث: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[31]

أي: قضية صادقة، كذا قرره الراغب»[32]. أي: أن الحكمة عند علماء الأصول تعني: المعنى المناسب الذي قصده الشارع من الحكم، وهذا المعنى يختلف من محل لآخر، فلكل حكم معنى خاص يناسبه وإن كان المقصد العام من التشريع هو جلب المصالح ودرء المفاسد[33].

ويتمسك الشيخ عبد الحميد ابن باديس من الْمُحْدَثِينَ في تعريفه لهذا المصطلح بلفظ الحكمة باعتباره اللفظ العربي الذي استعله القرآن والسنة والشعر العربي، يقول ابن باديس: «الحكمة هي العلم الصحيح الثابت، المثمر للعمل المتقن المبني على ذلك العلم»[34] والحكيم هو: «الموصوف بالحكمة وأصل اللفظ من حَكَم بمعنى أمسك»[35]. وهو يرى أنه لما بيَّن الله تعالى أن ما تضمنه القرآن كله حكمة، فإن الحكيم هو: الْمُتَحَقِّقُ بما فيه من علم، والمتحلي بما حث عليه من عمل؛ لأنه الإنسان الذي كَمُلَ من جهته العلمية، وجهته العملية وذلك أعلى درجات الكمال للإنسان[36]. وعلى هذا «فالحكمة هي: العلم الصحيح الذي يعصم صاحبه من الجهالات، والضلالات والسفالات، فيكون ذا إدراك للحقائق قويم وخلق كريم، وعمل مستقيم، لا يحكم إلا عن تفكير، ولا يقول إلا عن علم، ولا يفعل إلا على بصيرة فإذا نظر أصاب، وإذا فعل أطاب، وإذا نطق أتى بفصل الخطاب. ووصف القرآن بالحكيم لأنه هو العمل الصحيح المثمر لهذا كله»[37]. ولأنه كتاب العلم والعمل، اللذين لا يكون بدونهما حكيم قال مالكُ بْنُ أَنَسٍ: «الحكمة الفقه في دين الله والعمل به»[38]. ففي الفقه في دين الله الكمال العلمي وفي العمل به الكمال العملي، والقرآن حكمة؛ لدلالته على ذلك كله. فالفقه في دين الله هو المعرفة الصحيحة، والعمل به هو السلوك المستقيم، وهي الحكمة التي وصف بها القرآن في أكثر من آية، منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿يَس وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ﴾[يس:1-2] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: 39] فدل ذلك على أن أصل الحكمة ومأخذها القرآن، وأن الإنسان يكون حكيماً إذا علم ما في القرآن وعمل به[39]. ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[40] وذلك لأن من الشعر ما يكون فيه بيان عقيدة حق، أو خلق كريم، أو عمل صالح، أو علم وتجربة كشعر أمية بن أبي الصلت[41] الذي قال فيه النبي ﷺ: «كَادَ يُسْلِمُ»[42] ، وككلمة لَبِيدٍ[43] - رضي الله عنه-: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» التي قال فيها النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر»[44]. فالحكمة بهذا الاعتبار جَمْعٌ بين النظر، والعمل، بين العقل،

والنقل، وربط بينهما، أو هي تطبيق النظر، أو العلم وجعله واقعا حيًّا متقنا سواء في ميدان العلم، أو في ميدان الأخلاق، أو العقائد والآداب. ولهذا فإن ابن باديس يبين لنا هذا المعنى الذي يظهر للحكمة في تلك الميادين، ويكون ذلك في أربع حالات، يقول ابن باديس: «فالعقائد الحقة والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخا تظهر آثاره على الأقوال والأعمال حكمة، والأعمال السَّنِيَّةُ، والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد حكمة والأخلاق الكريمة كَالحِلْمِ والأناة –وهي علم وعمل نفسي– حكمة، والبيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع حكمة»[45]. وهكذا؛ فإن المفهوم الذي يقدمه ابن باديس للحكمة هو ذلك المفهوم الذي ورد في القرآن والسنة، وفي الشعر العربي؛ بمعنى: الفهم، والإصابة في القول، والتفقه في الدين، وبأن الحكيم هو: الموصوف بالحكمة، وأن الحكمة هي وسيلة، وليست غاية، كما أنها ليست موضوعا للدراسة، أو البحث، بل هي شيء كائن، وفعال، به يكون صلاح الدين والدنيا، وتَظْهَرُ آثارُه واضحةً في سلوك الفرد واتزان تفكيره، وهذا بالطبع يختلف عن مفهوم اليونان للحكمة، التي يطلقون عليها اسم الفلسفة ذلك أن الفلسفة عندهم هي: حب الحكمة؛ فالفيلسوف معناه محب للحكمة[46]، وهي عندهم غاية لا وسيلة؛ إذ هي غاية ما يصل إليه الإنسان. وبذلك نحا ابن باديس بمفهوم الحكمة منحًى دينيا لأن المفهوم الذي يقدمه للحكمة هو ذلك المفهوم الذي ورد في القرآن والسنة، وفي الشعر العربي؛ بمعنى: الفهم، والإصابة في القول والتفقه في الدين وهو لا يتفق في هذا مع بعض الحكماء الإسلاميين القدامى الذين يعدُّون الحكمة اسما معادلاً للفظ الفلسفة الذي استعمله اليونانيون؛ بمعنى حب الحكمة، ما يجعل تعريفه للحكمة مغايرا لأصحاب المرجعية العقلية من الفلاسفة فقد حدد لهذا اللفظ مرجعية نصية نابعة من القرآن، والسنة ومنسجمة مع منطلقاته الدينية الراسخة رسوخ الجبال.

وينهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور نهج ابن باديس في التمسك بلفظ الحكمة بديلا عن لفظ الفلسفة في تعريفه للحكمة، فيقول: «الحكمة إتقان العلم، وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم فلذلك قيل: نزلت الحكمة على ألسنة العرب، وعقول اليونان، وأيدي الصينيين، وهي مشتقة من الْحُكم –وهو المنع–؛ لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط، والضلال »[47]. كما يعرفها بقوله: «الحكمة هي: معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه

الطاقة البشرية؛ بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض، ولا تخطئ في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكل كلام، أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس، واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير. وتطلق الحكمة على العلوم الحاصلة للأنبياء»[48].

ويقول في موضع آخر: «وعلوم الحكمة هي: مجموع ما أرشد إليه هدي الهداة من أهل الوحي الإلهي، الذي هو أصْلُ إصلاح عقول البشر، فكان مبدأ ظهور الحكمة في الأديان، ثم ألحق بها ما أنتجه ذكاء أهل العقول من أنظارهم المتفرعة على أصول الْهَدْيِ الأول» [49].

ويمكن القول بأن ابن عاشور يتفق إلى حد كبير مع ما يراه ابن باديس من تعريف للحكمة مع بعض التوسع، وعدم حصر المسألة في المرجعية الدينية؛ لتشمل أيضا المرجعية العقلية للحكماء، أو ذكاء أهل العقول. ومن ناحية أخرى يقدم ابن عاشور الحكمة على أنها نوع من الحكمة الداخلة في عموم قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَّشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[البقرة: 269] وهذا قريب مما قدمه الحكماء الإسلاميون المشاؤون؛ كالكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد... عند محاولتهم التقريب بين الفلسفة والدين، وبأن الفلسفة مستمدة من الشرائع الإلهية[50] ذلك أن ابن عاشور يميل في المقدمة الرابعة في تفسيره إلى رأي ابن رشد في مسألة التوفيق بين العلوم الشرعية والفلسفة، ويرى أن ذلك مذهب الغزالي (ت: 505هـ)، وأبي بكر ابن العربي (ت: 543هـ) والرازي (ت: 606هـ)، وقطب الدين الشيرازي (ت: 710هـ)[51] في كتابه «شرح حكمة الإشراق»، وأمثالهم؛ فقد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحِكْمية[52]. وبهذا لم ينح ابن عاشور في تعريف الحكمة منحى دينيا خالصا –كما فعل ابن باديس– بل نحا بها منحى يعتمد التجربة الإنسانية أو المرجعية العقلية البشرية، أو ذكاء أهل العقول، بالإضافة إلى اعترافه بالحكمة الدينية، مع ميله إلى التوفيق بين الشريعة، والحكمة.

المبحث الثاني: أصول الحكمة

الحِكْمَة نوعان: حِكْمَة علميَّة نظريَّة، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خَلْقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، وحِكْمَة عمليَّة، وهي وضع الشيء في موضعه[53]. ومن ناحية أخرى فالحكمة فطرية ومكتسبة؛ فالحِكْمَة الفطريَّة: يؤتيها الله من

يشاء، ويتفضَّل بها على من يريد، وهذه لا دخل للعبد فيها، وهي التي عناها عمر بن الخطَّاب –رضي الله عنه– حينما كتب إلى أبي موسى الأشعري: «إنَّ الحِكْمَة ليست عن كِبَرِ السِّن، ولكنَّه عطاء الله يعطيه من يشاء، فإيَّاك ودناءة الأمور، ومُرَّاق الأخلاق»[54]. والحِكْمَةُ المكتسبةُ: يكتسبها العبد بفعل أسبابها، وترك موانعها فيسهل انقيادها له، وتجري على ألفاظه التي ينطق بها، وتكتسي بها أعماله التي يفعلها، ويشهدها النَّاس على حركاته وسكناته. وتقوم الحكمة بنوعيها على ثلاثة أركان أو أصول رئيسة: العلم، والحلم، والأناة. وأضدادها: الجهل، والطيش والعجلة، فلا حكمة لجاهلٍ، وطائشٍ، وعجولٍ[55]. وهذا بيان ذلك:

الأصل الأول– العلم: فالعلم أهم أصول الحكمة، ولذلك فإن أول ما نزل من القرآن أَمْرُ التَّعَلَّمِ بالقلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1-5]. كما بين تعالى عدم المساواة بين المتعلم وغيره فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[الزمر: 9]. وما ينشرح له القلب، ويرتاح له الضمير حيال مسألة فرضِيَّة العلم من عدمها هو ما ذكره ابن عبد البر من أن العلماء أجمعوا على أن من العلم ما هو فرض عين على كل امرئ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض كفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع. فالذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع المرء جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه، وما عدا ذلك فهو فرض على الكفاية[56] والحجة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

وفي هذا السياق يرى الشيخان ابن باديس وابن عاشور أنَّ اكتسابَ العلم الصحيح والخُلُقِ المتين هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان[57]، ذلك أنه بقدر ما تكثر معلومات الإنسان ويصح إدراكه لحقائقها، ولنسبها، ويستقيم تنظيمه لها تكثر اكتشافاته واستنباطاته في عالمي المحسوس والمعقول، وقسمي العلوم والآداب[58]. فإذا قلَّت معلوماته قلَّت اكتشافاته...وكذا إذا كثرت معلوماته وأهمل النظر فيها فإنه يبقى جامداً حيث هو، ثم لا يلبث أن تتلاشى من ذهنه تلك المعلومات المهملة حتى تضمحل لأن المعلومات إذا لم

يتعاهدها الإنسان بالنظر تزول من الحافظة شيئا فشيئا، وهذا هو طور جمود الأمم المتعلمة في أيامها الأخيرة عندما تتوافر السُّنن بسقوطها[59]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يرى ابن باديس أنه إذا لم يتوصل الإنسان إلى صحة إدراكه للحقائق، أو لِنِسَبِهَا، أو لم يستقم تنظيمه لها؛ فإن ما يتوصل إليه بنظره يصبح خطأً في خطأ، وفساداً في فساد، وفي هذا هلاك للفرد وللنوع البشري جزئيا وكليا، من قريب، أو من بعيد، وهذا هو طور انحطاط الأمم الانحطاط التام وذلك عندما يرتفع منها العلم، ويفشو فيها الجهل، وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها، فتتخذ رؤوساً جُهَّالاً لأمور دينها وأمور دنياها فيقودونها بغير علم، فَيَضلون ويُضلون، ويُفسدون ولا يُصلحون[60]. فالعلم هو الأصل الذي تنبني عليه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهو الأساس لكل أمر من أمورهما فالممالك إنما تبنى عليه وتُشاد، وبه تنظم وتُساس، وكل ما لم يبن على العلم فهو خراب، فالعلم سياج الدولة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي الذي به دفاعها، وكل دولة لم تُحمَ بالعلم فهي عرضة للانقراض فما بني بالسيف فبالسيف يهدم، وأعلى الممالك وأثبتها ما بني على العلم، وحمي بالسيف[61].

ويتفق ابن عاشور في هذا مع ابن باديس؛ حيث يرى أن كل العلوم التي يكتسبها الإنسان تسعى إلى غاية، وهي: إما إصلاح الفكر؛ ليُعصم من الخطأ في التأمل في غرض ما وإما إصلاح العمل عند إرادة عمل معين للاحتراز من الأخطاء العارضة للعامل عند عمله، وإما لإيقاظ الوازع النفساني. فالحث على اكتساب العلم تحريك للمقاصد الثلاثة الماضية: إصلاح التفكير، وإصلاح العمل وإيقاظ الوازع، إذ التحلي بصفة العلم –كما يرى ابن عاشور–: «ينشئ في نفس العالم به أَنَفة من أن ينسب إلى الضعف في ذلك العلم، فذلك يحمله على إتقان العمل بعلمه، حذرا من أن يوصم بأن سوء عمله أثرٌ من آثار الجهل، لا من آثار تعمد عدم العمل بما علم»[62]. ثم يتطرق ابن عاشور في هذا السياق إلى أن العلوم شتى، والغايات متفاوتة والمحثوث عليه من العلوم هو العلم الصحيح النافع، بأن يكون قائدا لصلاح الدين والدنيا[63]. أما تعيين العلوم المحتاج إليها فيُسند إلى العلماء المختصين «وولاة الأمور الموكول إليهم علم ما به قوام مصالح الأمة»[64]، وأما تعيين الطلبة الذين يزاولون تلك العلوم فيرى ابن عاشور أنه «يكون من رغباتهم، ومن تعيين أهل العلم، وأهل النظر في أمور المسلمين»[65] بناء على ما يتوسمون في أولئك الطلبة من اختبار مداركهم التي تؤهلهم لذلك

العلم، وبناء على ما تحتاجه الأمة من تخصصات مختلفة في شتى مجالات الحياة. وأخيرا يشير ابن عاشور إلى أن من العلم المحثوث على اكتسابه ما لا يتغير مع تغير الأزمنة والأحوال، كعلوم الشريعة، ووسائل إقامتها على الوجه الأكمل، ومنه ما يتغير مع تغير الأزمنة والأحوال، وهو ما زاد على ذلك من العلوم الزمنية مما هو مندرج في القياس على ما تضمنه رعي المقاصد الشرعية في حفظ مصالح الأمة، مع عدم الغفلة على أن ارتقاء الأمة في درج الكمال بوفرة علمائها[66]. ويمكن القول بأنه قد يفهم من سياق كلام ابن عاشور –المجدد– أن المقصود بالعلم مقتصر على علوم الدين، ولا علاقة له بالعلوم الدنيوية، لكن هذا الوهم سرعان ما يزول إذا أخذنا في الاعتبار اتساع مقصود العلوم الزمنية، وأيضا اتساع مفهوم مقاصد الشريعة في حفظ مصالح الأمة وارتقائها، إذ إن ذلك لا يتحقق إلا بالعلوم الشرعية والعلوم الدنيوية.

الأصل الثاني– الْحِلْمُ: وهو في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي: (حَلِمَ)، يقول ابن فارس: «الحاء واللام والميم، أصولٌ ثلاثة: الأول ترك العَجَلة، والثاني تثقُّب الشيء، والثالث رُؤية الشيء في المنام. وهي متباينةٌ جدًّا، تدلُّ على أنَّ بعضَ اللغةِ ليس قياساً، وإن كان أكثرُه منقاساً. فالأوّل: الحِلْم خلافُ الطَّيش. يقال حَلُمْتُ عنه أحلُم، فأنا حليمٌ»[67]. ويقول ابن منظور: الحِلْمُ بالكسر الأَناةُ والعقل وجمعه أَحْلام وحُلُومٌ[68]، وفي التنزيل العزيز ﴿أَمْ تَأْمُرُهُم أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم، وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به[69]. يقول ابن منظور: وأَحْلامُ القوم حُلَماؤهم، ورجل حَلِيمٌ من قوم أَحْلامٍ وحُلَماء، وحَلُمَ بالضم يَحْلُم حِلْماً صار حَليماً، وحلُم عنه وتَحَلَّم سواء، وتَحَلَّم تكلف الحِلْمَ والحِلْم نقيضُ السَّفَه[70]. وحَلَّمه أمره بالحِلْمِ وفي حديث النبي في صلاة الجماعة: «لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم»[71] أي: ذوو الألباب والعقول واحدها حِلْمٌ بالكسر، وكأَنه من الحِلْم الأَناة والتثبُّت في الأُمور، وذلك من شِعار العقلاء[72]. أما الحِلْمُ في الاصطلاح فيعرفه الجرجاني بأنه: الطمأنينة عند حدوث الغضب وقيل تأخير مكافأة الظالم[73]. ويعرفه ابن القيم بأنه الخلق الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس[74]. وفي الصحيح قال ﷺ للأشج[75]: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ

وَالأَنَاةُ» [76] وفي رواية قال الأشج: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟» قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى جَبَلَنِى عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ» [77]. فدل على أن من الخلق: ما هو طبيعة وجبلة، وما هو مكتسب [78]. يقول النووي: وَسَبَب قَوْل النَّبِيّ ﷺ ذَلِكَ لَهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيث الْوَفْد أَنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا الْمَدِينَة بَادَرُوا إِلَى النَّبِيّ ﷺ وَأَقَامَ الْأَشَجّ عِنْد رِحَالهمْ، فَجَمَعَهَا، وَعَقَلَ نَاقَته وَلَبِسَ أَحْسَن ثِيَابه، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ: فَقَرَّبَهُ النَّبِيّ ﷺ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبه، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ النَّبِيّ ﷺ: «تُبَايِعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَقَوْمِكُمْ؟»، فَقَالَ الْقَوْم: نَعَمْ. فَقَالَ الْأَشَجُّ: يَا رَسُول اللَّه، إِنَّك لَمْ تُزَاوِلْ الرَّجُل عَنْ شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ. نُبَايِعك عَلَى أَنْفُسِنَا وَنُرْسِل مَنْ يَدْعُوهُمْ. فَمَنْ اِتَّبَعَنَا كَانَ مِنَّا وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «صَدَقْت، إِنَّ فِيك خَصْلَتَيْنِ». الْحَدِيث. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: فَالْأَنَاة تَرَبُّصُهُ حَتَّى نَظَرَ فِي مَصَالِحِه وَلَمْ يَعْجَلْ، وَالْحِلْم هَذَا الْقَوْل الَّذِي قَالَهُ الدَّالّ عَلَى صِحَّة عَقْله، وَجَوْدَة نَظَرِهِ لِلْعَوَاقِبِ، قُلْت: وَلَا يُخَالِف هَذَا مَا جَاءَ فِي مُسْنَد أَبِي يَعْلَى وَغَيْره أَنَّهُ لَمَّا قَالَ رَسُول ﷺ لِلْأَشَجِّ: «إِنَّ فِيك خَصْلَتَيْنِ». الْحَدِيث. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَا فِيَّ أَمْ حَدَثًا؟ قَالَ: «بَلْ قَدِيم». قَالَ: قُلْت: الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ» [79]. فالأناة: تربصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل والحلم: هذا القول الذي قاله، الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب [80]. وقيل للأحنف بن قيس ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلا [81]. ويرى ابن القيم أن الفرق بين الصبر والحلم أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه فعلى قدر حلم العبد يكون صبره؛ فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم كقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾[الأحزاب: 51] وقوله: ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[النساء: 12] [82]. ويعلق ابن القيم على تصرفات بعض الناس بزعمهم أن الرحمة تحملهم على أن لا يقدموا على ذبح شاة، ولا إقامة حد وتأديب ولد بأن ذلك لا يُسَلَّمُ لهم؛ بدليل أن النبي ﷺ لم يقل بمثل أقوالهم فقد ذبح أرحم الخلق بيده في موضع واحد ثلاثا وستين بدنة، وقطع الأيدي من الرجال والنساء وضرب الأعناق، وأقام الحدود ورجم بالحجارة حتى مات المرجوم وكان أرحم خلق الله على الإطلاق وأرأفهم، وكذلك طلاقة الوجه والبشر المحمود فإنه وسط بين التعبيس والتقطيب وتصعير الخد وطي البشر عن البشر وبين الاسترسال مع كل أحد؛ بحيث يذهب

الهيبة ويزيل الوقار ويطمع في الجانب، كما أن الانحراف الأول يوقع الوحشة والبغضة والنفرة في قلوب الخلق وصاحب الخلق الوسط: مهيب محبوب عزيز جانبه، حبيب لقاؤه، وفي صفة نبينا ﷺ: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحبه[83]. والحلم باعتباره أصلا من أصول الحكمة، فقد وجّه اللَّه تعالى رسوله إلى التخلق به، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: 199-200]. وقال: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: 34] وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: 159]. وهكذا بلغ النبي ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى اللَّه الغاية المثلى، التي لا يضاهيها سوى الرسل والأنبياء.

الأصل الثالث– الأناة: وهو في اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي: (أَنِيَ) من المعتل، يقول ابن فارس: «باب الهمزة والنون وما بعدهما في الثلاثي، له أصول أربعة: البُطء وما أشبهه مِن الحِلم وغيره وساعةٌ من الزمان، وإدراك الشيء، وظَرف من الظروف. فالأناةُ الحِلْمُ، والفعل منه تأنَّى وتأيَّا. ويقال من الأنَاة رُجُلٌ أَنِيٌّ ذو أَنَاةٍ. والأنَا، من الأناة والتُّؤَدة. وتقول للرّجل: إنّه لذو أناةٍ، أي لا يَعجَل في الأمور وهو آنٍ وقورٌ. وأما الزَّمان فالإنَى والأَنَى، ساعةٌ من ساعات الليل والجمع آناءٌ، وكلُّ إنىً ساعةٌ»[84]. فالأناة والتَّأنِّي والأَنَى لغةً: الحِلم والوقار، وأَنِيَ وتَأَنَّى واسْتأْنَى: تَثبَّت، ورجل آنٍ –على وزن فاعل– أَي: كثير الأَناة والحِلْم. تقول للرَّجل: إنَّه لذو أناةٍ أي: لا يَعجَل في الأمور، وهو آنٍ: وقورٌ[85]. فالأناة التثبت وعدم العجلة، يقال: تَأنَّى في الأمر: مكث ولم يعجل، والاسم منه: أناة[86]. ويقال: تأنى في الأمر: ترفَّق وتنظَّر، وتَمهّلَ، واستأنى به: انتظر به وأمهله[87]. وتأتي الأناة بمعنى التبيُّن والتثبُّت في الأمور يقال: تَبيّنَ في الأمر والرأي: تثبت، وتأنى فيه ولم يعجل[88]. ويأتي التبيُّن بمعنى: التبصر: التعرف والتأمل يقال: تبصر الشيء، وتأمل في رأيه: تبين ما يأتيه من خيرٍ أو شرٍ[89]. وعلى ضوء ما تقدم تكون الأناة لغة: التصرُّف الحكيم بين العجلة والتباطؤ[90]. أما الأناة اصطلاحًا: فهو: التَّثبُّت وترك العَجَلَة[91]. يقول أبو هلال العسكريُّ: «الأناة: هي المبالغة في الرِّفق بالأمور والتَّسبُّب إليها»[92]. ويقول النووي: «الْأَنَاة التَّثْبِيت وَتَرْك الْعَجَلَة وَهِيَ مَقْصُورَة»[93]. ويقول الحميدي الأناة: «التأني والتثبت وترك العجلة حتى يستبين

الصواب»[94]. ويقول ابن عثيمين: «الأناة: هو التأني في الأمور وعدم العجلة، وألا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجل ويحكم على الشيء قبل أن يتأنى فيه»[95]. وهذه بعض الفروق بين الأناة وغيرها من الصِّفات القريبة منها: فالفرق بين الأناة والتُّؤدة[96]: أن التُّؤدة: مفارقة الخفَّة في الأمور فالتؤدة تفيد من هذا خلاف ما تفيد الأناة، وذلك أن الأناة تفيد مقاربة الأمر والتسبب إليه، والتُّؤدة تفيد مفارقة الخفَّة. ويرى كثير مِن العلماء أنه لا فرق بين الأناة والحِلْم، وأنَّهما بمعنى واحد، فالحِلْم: الأناة والعقل، والسُّكون مع القدرة والقوَّة والأناة والأَنَى: الحِلْم والوقار[97]. ويرى أبو هلال العسكريُّ: بأن: الأناة هي: التَّمهُّل في تدبير الأمور، وترك التَّعجُّل. والحِلْم: هو الإمهال بتأخير العقاب المستحق[98]. وفي هذا السياق وردت آيات كثيرة تحث على الأناة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النِّساء: 94]. يقول الطَّبري: «فتبيَّنوا، يقول: فتأنَّوا في قتل مَن أشكل عليكم أمره فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ولا تعجلوا فتقتلوا مَن الْتَبَس عليكم أمره، ولا تتقدَّموا على قتل أحدٍ إلَّا على قتل مَن علمتموه –يقينًا– حرْبًا لكم ولله ولرسوله» [99]. وقوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]. يقول ابن عطيَّة: «هذا الفعل مِن يوسف –عليه السَّلام– أناةً وصبرًا وطلبًا لبراءة السَّاحة، وذلك أنَّه –فيما رُوِي– خشي أن يخرج وينال مِن الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا، فيراه النَّاس بتلك العين أبدًا، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف –عليه السَّلام– أن تَبين براءته، وتتحقَّق منزلته مِن العفَّة والخير»[100]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: 6]. يقول الشوكاني: «قرأ الجمهور: فتبيَّنوا مِن التَّبيُّن، وقرأ حمزة والكسائي: فتثبَّتوا، مِن التَّثبُّت، والمراد مِن التَّبيُّن: التَّعرُّف والتَّفحُّص، ومِن التَّثبُّت: الأناة وعدم العَجَلَة والتَّبصُّر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتَّضح ويظهر»[101]. وقوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 36]. فالإنسان ينبغي عليه ألا يقتصر في منهجه

على التأني والتثبت في الأفعال والأقوال فحسب، بل عليه أن يجري ذلك على القلب في خواطره، وتصوراته وفي مشاعره وأحكامه، فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا يحكم العقل حكماً، ولا يبرم أمراً إلا وقد تثبت من كل جزئية ومن كل ملابسة، ومن كل نتيجة، حتى لا يبقى هنالك شك ولا شبهة في صحتها، وحينئذ يصل الداعية المسلم المتمسك بهذه الضوابط إلى أعلى درجات الأناة والحكمة والسداد[102]. أما العجلة فهي مذمومة، قال تعالى عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: 54] أي: استخفهم وحملهم على الضلالة والجهل، واستخف عقولهم، يقال: استخف عن رأيه: إذا حمله على الجهل وأزاله عما كان عليه من الصواب[103]. وقال سبحانه: ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[الروم: 60] ولاشك أن الإنسان قد خلق من عجل: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37] ولكنه إذا امتثل أمر اللَّه حسنت أخلاقه وطبائعه. أما الأدلة في السُّنَّة النَّبويَّة فكثيرة؛ منها ما روي عنه ﷺ أنه قال: «التَّأنِّي مِن الله، والعَجَلة مِن الشَّيطان»[104]. قال المناوي: «التَّأنِّي مِن الله تعالى؛ أي: ممَّا يرضاه ويثيب عليه والعَجَلَة مِن الشَّيطان أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأنَّ العَجَلَة تمنع مِن التَّثبُّت والنَّظر في العواقب»[105]. وقال ابن القيِّم: «العَجَلَة مِن الشَّيطان فإنَّها خفَّةٌ وطيشٌ وحدَّةٌ في العبد تمنعه مِن التَّثبُّت والوقار والحِلْم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشُّرور وتمنع عنه أنواعًا من الخير» [106]. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»[107].

وفي لفظ: «لأَجَبْتُه»[108] قال القاسمي: «مدحه النَّبيُّ ﷺ على هذه الأناة كان في طي هذه المدحة بالأناة والتَّثبُّت تنزيهه وتبرئته ممَّا لعلَّه يسبق إلى الوهم أنَّه همَّ بامرأة العزيز همًّا يؤاخذ به، لأنَّه إذا صبر وتثبَّت فيما له ألَّا يصبر فيه، وهو الخروج مِن السِّجن، مع أن الدَّواعي متوافرة على الخروج منه، فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه مِن الهمِّ، أولى وأجدر»[109]. وعن عائشة أنها قالت: حِينَ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ فَبَدَأَ بِي ﷺ فقال: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»[110]. قال ابن حجر: (قوله: «فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ تَسْتَعْجِلِي». أي: فلا بأس عليك في التَّأنِّي، وعدم العَجَلَة حتى تشاوري أبويك)[111].

المبحث الثالث: طرق اكتساب الحكمة

للحكمة طرق تنال بها، وتُسلك في تحصيلها، من أهمها:

1- الاجتهاد في طلب العلم، والشوق إليه، والرغبة الصادقة في ابتغاء مرضاة اللَّه تعالى وبذل جميع الأسباب في طلب العلم[112]. يقول الإمام الشافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ ... سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ ... وصحبةُ أستاذٍ وطول زمان[113].

2- الإخلاص لله في طلب العلم، قال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [114] يعني ريحَها.

3- أن يسأل الإنسان ربه العلم النافع، ويستعين به تعالى، ويفتقر إليه، وقد أمر اللَّه نبيه محمداً ﷺ بسؤاله أن يزيده من علمه[115] قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: 114]. وعنه ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»[116].

4- التزام التقوى واجتناب المعاصي: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة: 282] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾[الطلاق: 2]. وقال: ﴿إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[الأنفال: 29]. أي أنه من يتقي اللَّه يجعل له علماً يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل[117].

يقول الإمام الشافعي:

شَكوتُ إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي.

وأخبرني بأن العلم نـــــور ... ونور اللَّه لا يُهدى لعاصي[118].

5- إخلاص العبادة لله وحده، والارتباط الوثيق به، والبعد عن المعاصي، وطرد الهوى، فكلُّ ذلك من طُرُق نَيْل الحِكْمَة؛ يقول الحسن البصري: «من أحسن عبادة الله في شبيبته، لقَّاه الله الحِكْمَة عند كِبَر سنِّه وذلك قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: 14] »[119]. يقول ابن الجوزي: «لكلِّ باب مفتاح، ومفتاح الحِكْمَة: طرد الهوى»[120].

6- التَّفقه في الدِّين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]. أي أن «الحِكْمَة ثمرة التَّعليم بهذا الكتاب، وهي ملكة يتأتَّى معها وضع الأمور في مواضعها الصَّحيحة، ووزن الأمور بموازينها الصَّحيحة، وإدراك غايات الأوامر والتوجيهات»[121].

7- عدم التَّكبر: قال مجاهد: «لاَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ، وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ»[122].

8- العمل بالعلم: قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 44]. وقال الشاعر:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم[123].

9- مجالسة أهل الصَّلاح، والاختلاط بهم، والاستفادة منهم؛ لذا كان لُقْمان يقول لابنه وهو يوصيه ويدُلُّه على طريق الحِكْمَة: «يا بُنَيَّ، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ الله يحيي القلوب بنور الحِكْمَة، كما يحيي الأرض الميِّتة بوابل السَّماء»[124].

10- تحرِّي الحلال في المأكل والمشرب والملبس والشأن كلِّه سبب في نَيْل الحِكْمَة، والوصول إلى مصافِّ الحكماء.

11- الإخلاص في العمل: لقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَه»[125].

12- الاستفادة من مدرسة الحياة، وكثرة التَّجارب، ذلك أن «من مشارب الحِكْمَة: الاستفادة من العمر والتَّجارب، بالاعتبار، وأخذ الحَيْطة لأمر الدِّين والدُّنيا، ففي الحديث: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[126] وكثرة التَّجارب هي التي تُكْسِب صاحبها الحلم والحِكْمَة»[127].

13- المشاورة: وألَّا يعتمد المرء على رأي نفسه؛ بل عليه أن يستشير ذوي الخبرة والتَّجربة من إخوانه الصَّالحين؛ ليزداد بصيرة بالعواقب[128].

14- التَّحلِّي بالصَّمت عن الذي لا فائدة فيه؛ فالصمت طريق إلى اكتساب الحكمة فالحَكِيم يُعرف بالصَّمت وقلَّة الكلام، وإذا تكلَّم تكلَّم بالحقِّ، وإن تلفَّظ تلفَّظ بخير، أو سكت، ففي الصَّحيحين عن النَّبي ﷺ قال: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ»[129]. وقد قال وهب بن منبه: «أجمعت الأطباء على أنَّ رأس الطبِّ:

الحِمْيَة، وأجمعت الحُكَماء على أنَّ رأس الحِكْمَة: الصَّمت»[130]. وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيتم الرَّجل يطيل الصَّمت، ويهرب من النَّاس، فاقتربوا منه فإنه يُلقَّى الحِكْمَة»[131]. وقيل: «زَيْن المرأة الحياء، وزَيْن الحكيم الصَّمت»[132].

15- الوفاء بالأمانة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: 58] وكان لُقْمان الحكيم يقوا لابنه عندما سئل: أيُّ أُوتي الحِكْمَة؟ قال: «بشيئين: لا أتكلَّف ما كُفِيت، ولا أضيِّع ما كُلِّفت»[133].

المبحث الرابع: أهمية الحِكْمَةِ للمعلمين والمتعلمين

1- من فوائد الحِكْمَة، أنها طريق إلى معرفة الله موصلة إليه، مقرِّبة منه، وحينها ينقطع العبد عمن سواه، ولا يطمع في غيره.

2- من فوائدها أنها تعمل على حل المشاكل بأقل جهد وزمن والوصول إلى نتائج مرضية.

3- أنَّها سِمَة من سمات الأنبياء والصَّالحين، وعلامة للعلماء العاملين، ومزيَّة للدُّعاة المصلحين.

4- من فوائد الحِكْمَة، الإصابة في القول والسَّداد في العمل؛ فهي ترفع الإنسان درجات وتشرِّفه، وتزيد من مكانته بين النَّاس، فعن مالك بن دينار قال: «قرأت في بعض كتب الله: أنَّ الحِكْمَة تزيد الشَّريف شرفًا، وترفع المملوك حتى تُجْلِسه مجالس الملوك»[134].

5- فيها دلالة على كمال عقل صاحبها وعلوِّ شأنه، وهذا يجعله قريبًا من النَّاس، حبيبًا لقلوبهم، ومَهْوَى أفئدتهم، يقول فيسمعون، ويأمر فيطيعون؛ لأنَّهم يدركون أنَّ رأيه نِعْم الرأي، ومشورته خير مشورة.

6- أنَّها تدعو صاحبها للعمل على وفق الشَّرع، فيصيب في القول والفعل والتَّفكير، ويسير على هدى وبصيرة. قال الجنيد بن محمد، وقد سئل: بم تأمر الحِكْمَة؟ قال: «تأمر الحِكْمَة بكلِّ ما يُحْمَد في الباقي أثره، ويطيب عند جملة النَّاس خبره، ويُؤْمَن في العواقب ضرره»[135].

7- أنها تعطي الإنسان نفاذًا في البصيرة، وتهذيبًا للنَّفس، وتزكية للرُّوح، ونقاءً للقلب.

8- أنها تكسو الإنسان بثوب الوقار، وتحلِّيه بحلية الهيبة، وتخلع عليه ثياب البهاء والإجلال فتكون لصاحبها كالغيث حيثما حلَّ نفع، وأينما وُضِع أفاد، فيتعلَّم منه الكبير والصَّغير، ويكون مصدر خير بإذن الله.

9- أنها تحفظ الإنسان عن ارتكاب السُّوء أو التَّلفظ به، أو التَّحيِّ على الغير، أو عمل ما يضطره للاعتذار وطلب العفو، يقول الجنيد وقد سئل عما تنهى الحِكْمَة؟ فقال: «الحِكْمَة تنهى عن كلِّ ما يحتاج أن يُعْتَذر منه، وعن كلِّ ما إذا غاب عِلْمُه عن غيرك، أَحْشَمَك ذكره في نفسك» [136].

10- أنها تعمل على رجاحة العقل، ووفور الرَّزانة، وطمأنينة القلب.

11- أنها تعمل على التَّأنِّي: الذي يعمل على إبعاد الإنسان عن الضَّلال والخطأ؛ لأن «الأناة: التَّأنِّي في الأمور وعدم التَّسرُّع، وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزلُّ بسبب التَّعجُّل في الأمور، سواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك. فمِن النَّاس -مثلًا- مَن يتخطَّف الأخبار بمجرَّد ما يسمع الخبر يحدِّث به، ينقله،... ومِن النَّاس مَن يتسرَّع في الحكم؛ كمن سمع عن شخص شيئًا مِن الأشياء، ولم يتأكَّد أنَّه قاله، أو أنَّه فعله، ثمَّ يتسرَّع في الحكم عليه بأنَّه أخطأ، أو ضلَّ، أو ما أشبه ذلك، وهذا غلط. التَّأنِّي في الأمور كلُّه خير» [137]. فالعجلة في غير موضعها تدلُّ على خفَّة العقل، وقلَّة رزانته، وغلبة الشَّهوة عليه، ولهذا جعل ابن القيِّم من آفات الحِكْمَة وأضدادها العجلة، وقال: «فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول» [138]. قال أبو حاتم البستي: «والعَجِل يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويَحْمدُ قبل أن يجرِّب، ويذمُّ بعد ما يحمد، ويعزم قبل أن يفكِّر، ويمضي قبل أن يعزم، والعَجِل تصحبه النَّدامة، وتعتزله السَّلامة. وكانت العرب تكنِّي العجلة: أمَّ النَّدامات» [139].

12- أنها تعمل على اتساع الأفق، والتَّفكر في عواقب الأمور؛ فسطحية التَّفكير وبساطته إلى حد الغفلة أو السَّذاجة، والنَّظر إلى الأمور من جانب واحد. وسوء تقدير للعواقب والنَّتائج، والجهل بالواقع، وعشوائيَّة العمل، وارتجاليَّة الأهداف، وإهدار الطَّاقات في قضايا ثانويَّة، هو تبديدٌ للجهود في أمور هامشيَّة، وشَغْل النَّفس بالكماليَّات مع التَّفريط بالضَّروريات [140].

13- أنها تعمل على نفاذ البصيرة الدَّالة على حقائق الأمور، واتخاذ القرارات الصائبة؛ فهي تدعو إلى استشارة الصَّالحين، وأهل الخبرة، وتعمل على الاستفادة من خبرات السَّابقين.

14- أنها تحث صاحبها على العمل بالعلم، وتدعو إلى عدم الكبر والحياء في طلب

العلم، ولهذا تقول عائشة: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»[141]. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ» فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ –تَعْنِي وَجْهَهَا– وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ: أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا؟» [142]. وقال مجاهد: «لاَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ، وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ»[143].

15– أنها تعمل على صيانة الإنسان مِن الأخلاق الذميمة: قال ابن القيِّم: «إذا انحرفت عن خُلُق الأناة والرِّفق انحرفت: إمَّا إلى عَجَلة وطيش وعنف، وإمَّا إلى تفريط وإضاعة، والرِّفق والأناة بينهما»[144].

16– أنها تعمل على صيانة الإنسان مِن كيد الشَّيطان وتسلُّطه عليه: قال ﷺ: «التَّأنِّي مِن الله، والعَجَلَة مِن الشَّيطان»[145]. قال الغزالي: «الأعمال ينبغي أن تكون بعد التَّبصرة والمعرفة والتَّبصرة تحتاج إلى تأمُّل وتمهُّل، والعَجَلَة تمنع مِن ذلك، وعند الاستعجال يروِّج الشَّيطان شرَّه على الإنسان مِن حيث لا يدري» [146].

17– أنها تفرض على الإنسان التَّريُّث عند وصول الخبر إليه: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]. وهذه صور من التَّأنِّي المطلوبٌ في كثير من الأحوال والمواقف التي تمرُّ على الإنسان:

أ– التَّأنِّي في طلب العلم: قال تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: 16]. يقول ابن القيِّم في هذه الآية: «ومِن أسرار سورة القيامة أنَّها تضمَّنت التَّأنِّي والتَّثبُّت في تلقِّي العِلْم، وأن لا يحمل السَّامع شدَّة محبَّته وحرصه وطلبه على مبادرة المعلِّم بالأخذ قبل فراغه مِن كلامه، بل مِن آداب الرَّب التي أدب بها نبيَّه أَمْرُه بترك الاستعجال على تلقِّي الوحي، بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل مِن قراءته، ثمَّ يقرأه بعد فراغه عليه، فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلِّمه حتى يقضي كلامه»[147].

ب– التَّأنِّي في الإنكار في الأمور المحتملة: فعن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ في قصَّة موسى والخضر –عليهما السَّلام– أنه عندما: « عَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى قَدُومٍ، فَخَرَقَ

السَّفِينَةَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ[148] عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا؛ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟! ...قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا؟، قال: لا تؤاخذني بما نسيت، ولا ترهقني مِن أمري عسرًا»[149]. قال ابن حجر: «إنَّ الذي فعله الخضر ليس في شيء منه ما يناقض الشَّرع، فإنَّ نقض لوح مِن ألواح السَّفينة لدفع الظَّالم عن غصبها، ثمَّ إذا تركها أعيد اللَّوح- جائزٌ شرعًا وعقلًا، ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظَّاهر وقد وقع ذلك واضحًا في رواية أبي إسحاق التي أخرجها مسلم، ولفظه: فإذا جاء الذي يسخِّرها فوجدها منخرقة، تجاوزها فأصلحها، فيُستفاد منه وجوب التَّأنِّي عن الإنكار في المحتملات»[150].

ج- التَّأنِّي في التَّحدُّث مع الآخرين: عن أمِّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاه» [151] وفي لفظ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»[152].

د- التأني عند الفصل في المنازعات والقضايا العلمية، وإنزال العقوبات: ففي قصَّة أمير المؤمنين عمر في قضائه بين علي بن أبي طالب والعبَّاس -رضي الله عنهما- في فيء الرَّسول ﷺ مِن بني النَّضير، قال لهما عمر -رضي الله عنه-: «اتَّئدوا»[153]. قال ابن حجر: «قوله: «اتَّئدوا». المراد: التَّأنِّي والرَّزانة»[154]. وقال أبو عثمان بن الحدَّاد: «القاضي شأنه الأناة والتَّثبُّت، ومَن تأنَّى وتثبَّت تهيَّأ له مِن الصَّواب ما لا يتهيَّأ لصاحب البديهة» [155] وقال مالك بن أنس: «العَجَلَة في الفتوى نوعٌ مِن الجهل والخُرْق، قال: وكان يُقَال: التَّأنِّي مِن الله، والعَجَلَة مِن الشَّيطان»[156]. وقال الأصفهاني: «قال بعضهم: ينبغي للسُّلطان أن يؤخِّر العقوبة حتى ينقضي سلطان غضبه، ويعجِّل مكافأة المحسن ويستعمل الأناة فيما يحدث، ففي تأخير العقوبة إمكان العفو إن أحبَّ ذلك، وفي تعجيل المكافأة بالإحْسَان مسارعة الأولياء إلى الطَّاعة» [157]. وقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه، وذم التباطؤ والكسل ونهى عنه، ومدح الأناة وأمر بها، وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور[158]. قال تعالى للنبي ﷺ تربية له وتعليماً: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[القيامة: 16-19]. فأمر اللَّه سبحانه نبيه بعدم العجلة ومسابقة الملَك في قراءته، وتكفل اللَّه له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره[159].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: 114]. وأمر سبحانه عباده المؤمنين والدعاة إلى اللَّه تعالى بالتأني في الأمور والتثبت فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: 6] قرأ الجمهور: ﴿ فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبين، وهو التأمل، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر[160]. والمشاهَد والواقع أن عدم التثبت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع الإنسان خبراً، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة فيسارع بتصديقه، ويعادي ويصادق، ويبني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرفاً، أو مزوراً، أو مبالغاً فيه، أو مراداً به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

18- قد يصاب الإنسان بأذى دون أن يعرف مصدره، فيستعجل ويسارع فيتهم هذا، أو يسب ذاك، فيندم ويحصد ثمرة عجلته وعدم تثبته، ولو أنه تأنى، وتبين، وتثبت؛ لأدرك مصدر الأذى على حقيقته، وحينئذ يصدر التصرف على أساس البينة والبرهان، فلا يفقد أصدقاء له، ولا يضيف إلى أعدائه عدوّاً جديداً منهم. ويدخل في العجلة وعدم التثبت تعجل الإنسان في المدح أو الذم، دون دراية أو دون موجب لذلك، أو يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، أو بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه، وبنى عليه فتواه، وبعد ذلك يحصد الغم والأسف[161] قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾[الإسراء: 11]. فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تَثَبُّتٍ وتبيُّنٍ، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الداعية خاصة والمسلمين عامةً بحاجة إلى التثبت فيها والتبين، فإن ذلك يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة ما يجعل المسلم في سلامة عن الزلل، وبذلك يُعْرَفُ دين العبد وعقله ورزانته[162]. ومما يزيد الآية وضوحاً ما ورد في الصحيح عن ابن عباس: «﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[النساء: 94] قَالَ: قَالَ: كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ، فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا﴾[النساء: 94] تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ قَالَ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلاَمَ»[163]. ومن تربيته ﷺ لأصحابه على الأناة، وعدم العجلة قوله: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ -عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ- فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[164]. وقوله: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي قَدْ خَرَجْتُ»[165]. ولسُمُوِّ الأناة أحبها اللَّه، قال ﷺ للأشج: «إن فيك خصلتين يحبهما اللَّه: الحلم والأناة» [166].

19- أن يعتمد الإنسان منهج المشاورة، وألَّا يعتمد على رأيه، بل عليه أن يستشير ذوي الخبرة والتَّجربة من إخوانه الصَّالحين؛ ليزداد بصيرة بالعواقب[167].

20- ضرورة أن يسمع الإنسان الحجة والبرهان قبل التصرف ضد الآخرين: بدليل ما حدث في قصة سليمان مع الهدهد وتثبته وعدم عجلته، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[النمل: 20،21]. فهذا الهدهد من جنود سليمان ﷺ كان غائباً بغير إذن سليمان، ولكن سليمان لم يكن متسرعاً عجولاً، ولم يقض في شأنه قضاءً نهائيّاً قبل أن يسمع منه ويتبين عذره ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة قوية واضحة توضح عذره وتنفي المؤاخذة عنه؛ فالأناة صفة جميلة، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب [168].

21- ضرورة النظر في عواقب الأشياء وسنن اللَّه في الكون، وكون الشيطان عدوا للإنسان فإن أساس العجلة من الشيطان؛ فهو الحامل عليها بوسوسته، فيمنع من التثبت والنظر في العواقب فيقع المستعجل في الخطأ[169]. ولذلك قال عمرو بن العاص: لا يزال الرجل يجني من ثمرة العجلة الندامة[170].

22- من الحكمة أن يعلم الإنسان أن العجلة المذمومة ما كانت في غير طاعة الله، ولهذا قيل لبعض السلف: لا تعجل، فإن العجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[طه: 84]. ويستثنى من العجلة ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[الأنبياء: 90]. وعن الأَعْمَشِ قال: -وَلاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التُّؤَدَةُ[171] فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ»[172]. فالأناة في كل شيء محمودة وخيرٌ، إلا ما كان من أمر الآخرة؛ بشرط مراعاة الضوابط التي شرعها اللَّه حتى تكـــون المسارعة مما يحبه اللَّه تعالى[173]. وعن أنس بن مالك يرفعه: «التأني

من اللَّه، والعجلة من الشيطان»[174].

23- من الحكمة أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب قال ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[175].وقال ﷺ لمن قال أوصني: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[176]. والمعلم لا يكون حكيماً إلا بالحلم، وبمعرفته لعلاج الغضب، إذا حل به ونزل، والعلاج النافع لا يكون إلا وفق الشرع، وذلك بطريقتين: بالوقاية من الغضب قبل وقوعه بأمور منها: الكبر والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتيه، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل وما شابه ذلك[177] وبعلاجه إذا وقع بإحدى أربعة أشياء هي:

أ- الاستعاذة باللَّه من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: 200] وفي الصحيح أنه: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ فاحمر وجهه ﷺ فقال: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُون» [178].

ب- الوضوء، قال ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»[179].

ج- تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الخروج، أو غير ذلك، قال ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ»[180].

د- استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، قال ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا -وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ- دَعَاهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ»[181]. وإذا أراد المعلم أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة:

1- الرحمة بالجهال، فإنها من أوكد أسباب الحلم.

2- القدرة على الانتصار؛ وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.

3- الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

4- الاستهانة بالمسيء، وذلك بعدم الرد عليه.

5- الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.

6- التفضل على السّتاب، وهذا من الكرم وحب التآلف.

7- قطع السباب، وهذا من الحزم.

8- الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم، فقد قيل: الحلم حجاب الآفات.

9- الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد.

10- المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من ظهر غضبه قل كيده.

فإذا راعى المعلم الوقاية من الغضب، والعلاج، وهذه الأسباب العشرة كان حكيما.

المبحث الخامس: الحكمة في نظر المتخصصين

يرى كثير من الحكماء المسلمين القدامى والمحدثين[182] ضرورة تَعَلُّمِ الحكمة وتعليمها، وأن من الحكمة أن يكون التعليم بما يناسب حالة عصر المتعلمين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها[183] فهذا الغزالي في كتاب الإحياء يُكْثِرُ من تفاريع الأخلاق والآداب، وبخاصة ما يتعلق بآداب المتعلم والمعلم[184]، وهذا الإمام الرازي وأمثاله قد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحِكَمِيَّةِ وغيرها[185]. وهذا ابن عاشور من المحدثين يرى أن القرآن قد زاد على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين، وفي دعوته إلى النظر، ثم نوَّه بشأن الحكمة فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[البقرة: 269] وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادا اختصوا بفرط ذكاء، تضم إليه تجربة وَهَمُ الْعُرَفَاءِ، فجاء القرآن بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43] وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: الآية: 9] وقوله: ﴿نُ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم:1] فنبه إلى مزية الكتابة[186]. كما يرى ابن عاشور أنه لا يلام المفسر إذا أتى بشيء من تفاريع العلوم مما له خدمة للمقاصد القرآنية، وله مزيد تعلق بالأمور الإسلامية كما نفرض أن يفسر قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: 164] بما ذكره المتكلمون في المسألة والحجج لذلك،

وكذا أن يفسر ما حكاه الله تعالى في قصة موسى مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم. وكذلك تقرير مسائل من علم التشريح لزيادة بيان قوله تعالى في خلق الإنسان: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: 5] الآيات، فإنه راجع إلى المقصد، وهو مزيد تقرير عظمة القدرة الإلهية[187]. كما يرى ابن عاشور أن من الحكمة أن تُجلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد تفسير آية معينة من القرآن: إما على أن بعضها يومىء إليه معنى الآية، ولو بتلويح ما كما يفسر أحد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: 269] فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها مدخلا ذلك تحت قوله: ﴿خَيْراً كَثِيراً﴾ فالحكمة وإن كانت علما اصطلاحيا وليس هو تمام المعنى للآية إلا أن معنى الآية الأصلي لا يفوت وتفاريع الحكمة تعين عليه[188]. وكذلك أن نأخذ من قوله: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7] تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة، ونعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على أن ذلك تومئ إليه الآية إيماء، وأن بعض مسائل العلوم قد تكون أشد تعلقا بتفسير آي القرآن، كما نفرض مسألة كلامية لتقرير دليل قرآني، مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: 22]. وكتقرير مسألة المتشابه لتحقيق معنى نحو قوله: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذريات: 47] فهذا كونه من غايات التفسير واضح، وكذا قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[قّ: 6] فإن القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة، فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين أسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيأة كان قد زاد المقصد خدمة[189]. وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني، وبين المسائل الصحيحة من العلم؛ حيث يمكن الجمع، وإما على وجه الاسترواح من الآية، كما يؤخذ من قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾[الكهف: 47] أن فناء العالم يكون بالزلازل ومن قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير: 1] أن نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم، وشرط كون ذلك مقبولا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز، فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم، ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له[190]. وفي السياق نفسه يرى ابن عاشور أن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب: الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية: علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات. الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق. الرابعة: علوم لا علاقة لها به؛ إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته؛ كعلم العروض والقوافي[191].

ويمكن القول بأن للمتخصصين في الحكمة آراء في التوفيق بين الحكمة والدين على النحو الآتي: فأما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية وآلاتها، وبين المعاني الشرعية ويرون القرآن مشيرا إلى كثير منها، قال ابن رشد الحفيد في فصل المقال: «ولهذا المعنى أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل. واختلفوا في المؤول منها من غير المؤول؛ فالأشعريون مثلاً يتأولون آية الاستواء وحديث النزول، والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره. والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق. والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينها؛ فإلى هذا المعنى وردت الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[آل عمران: 7]»[192].

ويذكر ابن عاشور[193] أن ابن العربي يذهب في العواصم: «إلى إنكار التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية، ولم يتكلم على غير هاته العلوم، وذلك على عادته في تحقير الفلسفة؛ لأجل ما خولطت به من الضلالات الاعتقادية، وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء»[194]. غير أن هذا الرأي لا يُسَلَّمُ به لابن عاشور؛ ذلك أن ابن عاشور يبدو أنه لم يفرق في هذه المسألة بين الفلسفة والحكمة؛ وبين الفلاسفة والحكماء؛ فابن العربي ينكر التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية، لكون الفلسفة –وبخاصة فلسفة إخوان الصفاء– خلطت بين الشريعة والفلسفة؛ فدسَّت أغراضا فلسفية وإشارات صوفية، وعبارات وتأويلات باطنية لا تتسق مع الشريعة[195] ولهذا فإن ابن العربي إن استخف بالفلسفة فهو بالتأكيد لم يستخف بالحكمة، ولا بالحكماء؛ بدليل أنه «يرى أن العقل والشرع صنوان، وأن العقل

مزكي للشرع، ولا يصح أن يأتي الشاهد بتجريح المزكِّي، ولا بتكذيبه، فإن ذلك إبطال له»[196] كما يؤكد في مواضع كثيرة من كتبه أن العقل والشرع صنوان لا يتعارضان[197] ولهذا فهو يستخف بالفلسفة وبالفلاسفة، لا الحكمة والحكماء. ويذهب ابن تيمية إلى معارضته الشدية للفلسفة ولا يؤيد التوفيق بين الشريعة والفلسفة، لكنه يدعو إلى تعلم الحكمة، ويرى درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول[198] ويذهب الشاطبي إلى عدم التوفيق أيضا؛ فيرى أنه لا يصح في مسلك الفهم والإفهام إلا ما يكون عاما لجميع العرب؛ فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه لما: «ما تقرر من أمية الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها –وهم العرب– تنبني عليه قواعد، منها: أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا فإن السلف الصالح –من الصحابة والتابعين ومن يليهم– كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه، وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدَّعَى، سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا. نعم، تضمن علوما هي من جنس علوم العرب، أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره، أما أن فيه ما ليس من ذلك، فلا»[199] ويرجح الباحث ما يراه ابن عاشور من عدم التسليم للشاطبي بهذا الرأي؛ انطلاقا من أنه مبني على ما أسسه الشاطبي من كون القرآن لما كان خطابا للأميين –وهم العرب– فإنما يعتمد في مسلك فهمه وإفهامه على مقدرتهم وطاقتهم، وأن الشريعة أمية. وهو أساس واه لوجوه ستة: الأول: أن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال، وهذا باطل لما قدمناه، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: 49]. الثاني: أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة، وهو معجزة باقية، فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي

من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة. الثالث: أن السلف قالوا: إن القرآن لا تنقضي عجائبه –يعنون معانيه– ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه. الرابع: أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة. الخامس: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوما لديهم، فأما مازاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام وتحجب عنه أقوام، «ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». السادس: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عنوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقتفي على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية، أما ما وراء ذلك فإن كان ذكره لإيضاح المعنى فذلك تابع للتفسير أيضا لأن العلوم العقلية إنما تبحث عن أحوال الأشياء على ما هي عليه، وإن كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير لكنه تكملة للمباحث العلمية، واستطراد في العلم لمناسبة التفسير؛ ليكون متعاطي التفسير أوسع قريحة في العلوم؛ إذ في العلم لمناسبة التفسير ليكون متعاطي التفسير أوسع قريحة في العلوم[200].

خلاصة القول: يرجح رأي ابن عاشور الذي يرى ضرورة تبسيط المسائل العلمية وتوفيقها، ذلك أن الحكماء قد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحِكْمِيَّةِ وغيرها، وكذلك الفقهاء في كتب أحكام القرآن، ولا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة، ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم، وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر، وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات، ويبنى على توفر الفهم، وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ من حيث اللغة العربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفا بيِّنا، ولا خروجا عن المعنى الأصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية[201].

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث وبعض التوصيات على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

1- يوجد رأيان تجاه العلاقة بين الحكمة والفلسفة: رأي يعتبرهما بمعنى واحد وبمثله فلاسفة الإسلام، ومن سار على نهجهم، وفريق لا يرتضون هذا الرأي، ويرون أن الحكمة غير الفلسفة؛ لأسباب منها أن الحكمة يؤتيها الله من يشاء من خلقه، ومأمور بتعلمها، وباستخدامها في الدعوة إلى الله تعالى، ومنها أن الحكمة تنطلق من التوحيد وتقوم على الحق دائما، بينما قد لا يتوفر هذا في الفلسفة، وبخاصة تلك التي تنطلق من الشرك، وتقوم على الباطل، فتقول بتعدد الألهة، وعلم الله تعالى بالكليات دون الجزئيات، وقدم العالم، ونظرية الفيض، وتناسخ الأرواح...

2- الحكمة تعني: وضع الشيء في موضعه، وتقوم على ثلاثة أصول هي: العلم بالشيء، والحلم، والأناة، بينما الفلسفة تعني: محبة الحكمة، وهي البحث عن الحقيقة، أو ما وراء الطبيعة، والفيلسوف هو المحب للحكمة.

3- من أهم طرق اكتساب الحكمة: الاجتهاد في طلب العلم، والأخذ بأسبابه، والرغبة الصادقة في ابتغاء مرضاة اللَّه، والإخلاص له، والتزام التقوى، واجتناب المعاصي، وعدم التَّكبر، والعمل بالعلم، ومجالسة أهل الصَّلاح، والاستفادة منهم، وتحرِّي الحلال في المأكل والمشرب والملبس، ومشاورة الإنسان لغيره، وألَّا يعتمد على رأي نفسه فقط.

4- من فوائد الحِكْمَة للمعلمين والمتعلمين، أنها طريق إلى معرفة الله تعالى، مقرِّبة منه، وتعمل على حل المشاكل بأقل جهد وزمن، وتوصل إلى نتائج مرضية، وهي سِمَة من سمات الأنبياء والصَّالحين، وعلامة من علامات العلماء العاملين، ومزيَّة للدُّعاة المصلحين تؤدي إلى الإصابة في القول والسَّداد في العمل، وتحفظ الإنسان عن ارتكاب السُّوء أو التَّلفظ به، وتفرض على الإنسان التَّرَيُّث عند وصول الخبر إليه، وعند الفصل في المنازعات والقضايا العلمية، وأن يسمع الإنسان الحجة والبرهان قبل التصرف ضد الآخرين، وأن يملك نفسه عند الغضب، ويتبع في ذلك ما نص عليه الشرع الحكيم بالاستعاذة باللَّه من الشيطان الرجيم، وبالوضوء، وبتغيير الحالة التي عليها الغضبان: بالجلوس، أو الخروج، أو غير ذلك، وباستحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل.

5- يرى كثير من الحكماء المسلمين القدامى والمحدثين ضرورة تَعَلُّمِ الحكمة وتعليمها، وأن من الحكمة أن يكون التعليم بما يناسب حالة عصر المتعلمين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وما يؤهلهم لأن تكون أمة الإسلام قوية تستطيع الصمود في وجه أعدائها دينيا، واقتصاديا، وعسكريا، وسياسيا....

ثانياً: التوصيات:

1- ضرورة تدريس الحكمة للطلاب في الجامعات الإسلامية وبخاصة في مجالي العقيدة والدعوة.

2- ضرورة وضع خُطط دراسية متطورة تشمل كل الجامعات الإسلامية وكلياتها وأقسامها من قبل أساتذة حكماء مختصين عارفين بحاجات الزمان والمكان وغايات العلوم، يعتمدون في وضعها على كل ما يبلغ بالعملية التعليمية في الجامعات إلى الغاية المطلوبة في أقرب وقت ممكن؛ باعتبار أن التخطيط التربوي ومواكبة أساليب التعليم لمقتضيات العصر وتطوير هذه الأساليب وتعهدها بصفة مستمرة هي اليوم عبارة عن البحث في مستقبل الأمة وتكوينها، وأساس بقائها بين الأمم.

3- استخدام الحكمة في النقد الذاتي للعملية التعليمية في الجامعات الإسلامية، على أن يتولى أمر هذا النقد حكماء مختصون تربويون، خبراء بما أصاب العملية التعليمة من علل وبكيفية علاجها، وإخضاع ذلك للمراجعة والتطوير بعد مدة زمنية محددة، ولتكن كل أربع سنوات مثلا، وليدع لتطويرها كبار العلماء في مجال التخصص من الداخل والخارج.

4- استخدام الحكمة في ضبط العملية التعليمية في الجامعات الإسلامية من جميع جوانبها؛ فالنظام العام لا بد أن يكون موحدا في الجامعات، والطلاب يجب أن يتعلموا وفق مناهج مختارة مدروسة محددة، ولا تترك لاختيار الطلاب وتأثراتهم المتعددة، والأساتذة يجب أن يُدرِّسوا وفق ما تقرره اللجان العلمية المختصة المشرفة على المناهج والمقررات في الجامعات حتى تصبح العملية التعليمية مضبوطة وموحدة ومفيدة للفرد وللمجتمع.

5- تخصيص أموال كافية للصرف منها على التعليم العالي بحكمة إذا أردنا لهذا التعليم أن ينمو ويتطور، ليصل بشبابنا إلى التعليم الصح، ويخرجهم مما نحن فيه من بؤس وتخلف؛ وتعليم القشور لا اللب.

الهوامش والتعليقات

1- د. إبراهيم عبد الله سلطان، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية المشارك، ورئيس قسم أصول الدين، كلية علوم الشريعة، جامعة المرقب/ ليبيا. ماجستير (1997) في العقيدة، جامعة طرابلس/ ليبيا. دكتوراه (2006) في الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم / جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية. e-mail: iasultan@elmergib.edu.ly

2- تفسير التحرير والتنوير 278/3.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الِاغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَة، رقم: 73.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذِكْرُ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، رقم: 3756.

5- كالحكمة الهندية، والفارسية، والصينية، والفلسفة الباطنية كفلسفة إخوان الصفاء...إلخ.

6- ينظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، 173/2.

7- ينظر ابن القيم، مدارج السالكين 478/2.

8- ينظر المصدر السابق 2/ 480.

9- معجم مقاييس اللغة 103/4 مادة (حكم)، وابن منظور، لسان العرب 141/12، 144، مادة (حكم).

10- الجماح: من جمح الفرس إذا ذهب يجري جريا سريعا وصار يغالب فارسه. ينظر ابن منظور، لسان العرب 426/2.

11- ينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص1415. وابن منظور، لسان العرب 143/12.

12- ينظر ابن منظور، لسان العرب 140/12.

13- ينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط 99/4، وابن منظور، لسان العرب 141/12.

14- ينظر ابن منظور، لسان العرب 144/12.

15- ينظر ابن منظور، لسان العرب 140/12-141، والفيروز آبادي، القاموس المحيط 100/4.

16- ينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط 100/4، وابن منظور، لسان العرب 143/12.

17- الجرجاني، التعريفات، ص 123.

18- ابن القيم، تفسير القرآن الكريم ص 231/1.

19- القاسمي، محاسن التأويل 422/6.

20- المراغي، تفسيره 41/3.

21- الهَرَوِي، منازل السائرين، ص 78.

22- النووي، شرح مسلم 33/2.

23- ابن القيم، مدارج السالكين 449/2.

24- السعدي، تفسيره ص 115.

25- السعدي، تفسيره 648.

26- ينظر الشاطبي، الموافقات 97/4-98.

27- الرسالة ص78.

28- ينظر الجصاص، الفصول 61/2، وأبو المظفر السمعاني، قواطع الأدلة 74/2، والرازي، المحصول 152/5، 427.

29- المحصول 389/5.

30- شرح مختصر الروضة 445/3.

31- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره، رقم: 6145. والترمذي في سننه، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء إن من الشعر حكمة، رقم: 2844.

32- ينظر المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، 291/1.

33- ينظر الغزالي، المستصفى 278/1، والآمدي، الإحكام 271/3، والعز بن عبد السلام، قواعد الأحكام 7/1، 160/2.

34- ابن باديس، كتاب التفسير، ص320، وكذا ص111.

35- ابن باديس، كتاب التفسير ص 288.

36- ابن باديس، كتاب التفسير ص111.

37- ابن باديس، كتاب التفسير، ص 288.

38- أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، رقم: 2829. وينظر السيوطي، الدرر المنثور، ج2، ص67.

39- ينظر ابن باديس، كتاب التفسير 291-292.

40- سبق تخريجه في ص 8 من هذا البحث.

41- أمية بن أبي الصلت شاعر جاهلي حكيم من الطائف، له اطلاع على الكتب القديمة، كان يتعبد على ذكر إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام-، فحرم على نفسه الخمر وعبادة الأوثان، كاد يدخل الإسلام، لكن حدث أن قتل ابنا خال له في وقعة بدر، فامتنع عن دخول الإسلام، وأقام في الطائف حتى توفي سنة 5هـ، وقيل سنة 9هـ. ينظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة 249/1.

42- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية، رقم: 3841. بلفظ: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم". ومسلم في صحيحه، كتاب الشعر، رقم: 6026. بلفظ: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ...".

43- لبيد بن ربيعة الهوزاني العامري الصحابي، من أهل نجد، وأحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات المشهورة، له ديوان مطبوع، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، وهو من الصحابة المؤلفة قلوبهم، ترك الشعر بعد دخوله في الإسلام، عاش في الكوفة وعمر طويلا. توفي سنة 41هـ. ينظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة 675/5.

44- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، رقم: 6026. وينظر ابن باديس، التفسير 320-321.

45- ابن باديس، التفسير 320.

46- جاء في رسائل الكندي الفلسفية 172/1. أن الفيلسوف مركب من (فلا)، وهي محب. ومن (سوف) وهي الحكمة. فالفيلسوف معناه محب الحكمة.

47- التحرير والتنوير، ج3، ص61.

48- التحرير والتنوير 61/3. وكذا 327/14.

49- المصدر السابق 63/3-64. وكذا 61/3.

50- ينظر د. عبد الحميد مدكور، في الحكمة الإسلامية 194-195.

51- محمود بن مسعود الفارسي الشافعي، من كتبه: "فتح المنان في تفسير القرآن" ومشكلات التفاسير، وشرح حكمة الإشراق للسهروردي، وشرح على مفتاح العلوم للسكاكي، توفي في شيراز سنة 710هـ . ينظر ابن حجر، الدرر الكامنة 100/6.

52- ينظر التحرير والتنوير 43/1- 44

53- ينظر ابن القيم، مدارج السالكين 478/2.

54- ابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف ص 212.

55- ينظر ابن القيم مدارج السالكين 480/2.

56- للمزيد من البيان ينظر جامع بيان العلم وفضله 56/1-57.

57- ينظر ابن باديس، التفسير 99. وابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي 150.

58- ينظر ابن باديس، التفسير 101.

59- ينظر ابن باديس، التفسير 102.

60- روى البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، حديث رقم: 81 عن النبي ﷺ قال: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ». وروى أيضا في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: 100 عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا -يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ- وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

61- ينظر ابن باديس حياته وآثاره 16/2-17.

62- ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام 150.

63- المصدر السابق 151.

64- المصدر السابق 153.

65- المصدر السابق 154.

66- المصدر السابق 154.

67- معجم مقاييس اللغة 93/2 مادة (حكم).

68- ابن منظور، لسان العرب، 145/12. مادة (حلم).

69- ينظر ابن جرير، جامع البيان 480/22.

70- ابن منظور، لسان العرب، 145/12. مادة (حلم).

71- أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى، رقم 228. قال الشيخ الألباني: صحيح.

72- ابن منظور، لسان العرب، 145/12. مادة (حلم).

73- ينظر الشريف الجرجاني، التعريفات 125/1.

74- ينظر ابن القيم، مدارج السالكين 308/2.

75- أشج: عبد القيس، كان سيد قومه، رجع بعد إسلامه إلى البحرين، ثم نزل البصرة ومات بها. ينظر تهذيب التهذيب 267/10.

76- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأَمْرِ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، رقم 126.

77- أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الأدب، باب قُبْلَة الرِّجْلِ، رقم 5227، وأحمد في مسنده رقم 17862.

78- ينظر ابن القيم، مدارج السالكين 315/2.

79- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، 87/1.

80- ينظر النووي المنهاج شرح صحيح مسلم، 189/1، والمباركفوري، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، 6/ 152.

81- ينظر ابن القيم، عدة الصابرين 19/2.

82- ينظر ابن القيم، عدة الصابرين 28/2.

83- ينظر ابن القيم، مدارج السالكين 311/2.

84- معجم مقاييس اللغة 141/1-142 مادة (أَنِيَ).

85- الجوهري، الصحاح 2274/6.

86- الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مادة: أنى 28.
87- ينظر الرازي، مختار الصحاح، مادة: أَنِيَ، ص13، والمعجم الوسيط، 31/1.
88- ينظر المعجم الوسيط، مادة: أبان 80/1، ومادة: ثبت 93/1.
89- ينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص448، والرازي، مختار الصحاح 22.
90- ينظر عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، 352/2.
91- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم 189/1.
92- ابن سهل العسكري، الفروق اللغوية 204/1.
93- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم 87/1.
94- الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، 60/1.
95- ابن عثيمين (ت: 1421هـ)، شرح رياض الصالحين، 668/1.
96- ابن سهل العسكري، الفروق اللغوية 204/2.
97- ابن منظور، لسان العرب 146/12، 48/14، والرازي، مختار الصحاح 24/1.
98- ابن سهل العسكري، الفروق اللغوية 200/1-204.
99- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن 70/9.
100- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 252/3.
101- الشوكاني، فتح القدير 71/5.
102- ينظر في ظلال القرآن، 2227/4.
103- ابن كثير، تفسيره 130/4، والبغوي، شرح السنة، 175/13.
104- رواه أبو يعلى في مسنده، رقم 4256، وجوَّد إسناده ابن القيم في إعلام الموقعين 120/2، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع 3011.
105- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير 184/3.
106- الروح ص 258.
107- رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾[الحجر: 51]. رقم 3372.
108- رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ رقم 3387.
109- القاسمي محاسن التأويل 186/6 والنووي، شرح صحيح مسلم 185/2.
110- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ رقم 4785.

111- ابن حجر، فتح الباري 521/8.

112- ينظر السعدي، التفسير 5/ 194.

113- ينظر الإمام الشافعي، ديوانه، ص116.

114- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير اللَّه، رقم 3666.

115- ينظر البغوي، التفسير 3/ 233، والسعدي، التفسير 5/ 194.

116- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، رقم 3599، وابن ماجه في سننه، المجلد الأول، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم 251.

117- ينظر ابن كثير، تفسير 338/1، والسعدي، التفسير 349/1.

118- ينظر ديوان الشافعي، ص88، وابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص104.

119- أبو بكر الدينوري المجالسة وجواهر العلم 240/6.

120- ابن الجوزي، التبصرة 396/1.

121- سيد قطب، في ظلال القرآن 139/1.

122- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

123- اختلف في قائله، وقد نسبه ابن حزم الظاهري في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص 95. إلى أبي الأسود الدؤلي.

124- ابن عبد البر الاستذكار 61/10.

125- أخرجه أبو يعلى في المسند، رقم 4386. والمناوي في فيض القدير 6649.

126- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، رقم 6133، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ رقم 7690.

127- محمود الخنز دار، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين ص 123.

128- مازن عبد الكريم الفريح، الرائد –دروس في التربية والدعوة 44/3.

129- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم 6018، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلاَّ مِنَ الْخَيْرِ 182.

130- ابن أبي الدنيا، الصمت ص278.

131- ابن الجوزي، التبصرة ص 289/2.

132- السيوطي، حسن السمت في الصمت ص 84.

133- أبو طالب المكي، قوت القلوب، 234/2.

134- أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ص 50.

135- أبو نعيم في الحلية 261/13.

136- أبو نعيم في الحلية 261/13.

137- محمد صالح بن عثيمين، شرح رياض الصالحين 577/3-579.

138- مازن الفريح، الرائد –دروس في التربية والدعوة 50/3.

139- أبو حاتم البستي، روضة العقلاء ص216.

140- مازن الفريح، الرائد –دروس في التربية والدعوة 53/3.

141- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

142- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم. رقم 130.

143- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

144- ابن القيم، مدارج السالكين 296/2.

145- رواه أبو يعلي في مسنده رقم 4256، وجوَّده إسناده ابن القيم في الإعلام 120/2، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 3011.

146- الغزالي، إحياء علوم الدين 33/3.

147- ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن 159/1.

148- النول: الأجر، ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 129/5.

149- رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾إلى آخره[الكهف: 63] رقم 205.

150- ينظر ابن حجر، فتح الباري 222/1.

151- رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ رقم 3567.

152- رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ رقم 3568.

153- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الآهل والعيال، رقم 5355.

154- ينظر ابن حجر، فتح الباري 91/1.

155- ينظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله 1127/2.

156- ابن القيم، إعلام الموقعين 128/2.

157- الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة 142/1.

158- ينظر عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها 353/2، 354 بتصرف.

159- ينظر ابن كثير، تفسيره ، 4/ 450.

160- ينظر الشوكاني، فتح القدير، 60/4.

161- ينظر موسوعة أخلاق القرآن الكريم، 3/ 26، وسيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3342.

162- ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 2/ 132.

163- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة النساء، باب: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، رقم 4591.

164- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الجمعة: 9]، رقم 908.

165- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب مَتَى يَقُومُ للصلاة؟، رقم 1396.

166- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان باللَّه ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، رقم 18.

167- مازن الفريح، الرائد -دروس في التربية والدعوة 44/3.

168- ينظر الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، 27/3.

169- ينظر البغوي، شرح السنة 176/13، والمناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 184/3.

170- ينظر المباركفوري، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، 6/ 153.

171- التؤدة: التأني. ينظر المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 3/ 277، وشمس الحق آبادي، عون المعبود، 165/3.

172- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الرفق، رقم 4812.

173- ينظر البغوي، شرح السنة، 177/13، والمباركفوري، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، 153/6.

174- أخرجه أبو يعلى في مسنده، 1054/3، والبيهقي في السنن الكبرى، 1040/10.

175- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم 6114.

176- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم 6116.

177- ينظر صبحي محمصاني، الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية، ص227.

178- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم 6115.

179- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، رقم 4786، قال الشيخ عبد العزيز ابن باز: إسناده جيد.

180- أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، رقم 4784. وأحمد في مسنده، رقم 21386.

181- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، رقم 4779، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الحِلم، رقم 4186.

182- ينظر مثلا: الغزالي: الإحياء، وأبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، وابن رشد: فصل المقال، والرازي: التفسير، وابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، وابن باديس: التفسير، وآثار ابن باديس، وابن عاشور: التفسير، ومقاصد الشريعة، وأليس الصبح بقريب.

183- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 39/1.

184- ينظر الغزالي، كتاب الإحياء، وبخاصة ص 48/1 الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم.

185- ينظر الرازي، كتاب التفسير، وابن عاشور، التحرير والتنوير 41/1.

186- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 39/1.

187- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 40/1.

188- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 40/1.

189- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 40/1.

190- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 41/1.

191- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 43/1.

192- ابن رشد، فلسفته (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) 16-17.

193- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 43/1.

194- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 43/1.

195- ينظر عمار طالبي، آراء ابن العربي الكلامية، 150/1.

196- أبو بكر بن العربي، العواصم من القواسم تحقيق عمار طالبي، تحت مسمى آراء ابن العربي الكلامية، 152/2.

197- ينظر عمار طالبي، آراء ابن العربي الكلامية، 151/1.

198- ينظر ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.

199- الشاطبي، الموافقات، 79/2-80.

200- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 42/1-43.

201- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 41/1-42. بتصرف.

المصادر والمراجع:

1-ابن أبي الدنيا، **الصمت وآداب اللسان**، أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1410هـ.

2-ابن أبي حاتم، **التفسير**، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

3-ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، تحقيق: الزاوي، والطناحي، المكتبة العلمية، بيروت 1399هـ.

4-ابن العربي، **العواصم من القواسم**، تحقيق: عمار طالبي، تحت مسمى آراء أبو بكر بن العربي الكلامية، ونقده للفلسفة اليونانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

5-ابن القيم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه سعد، دار الجيل، بيروت 1973م.

6-ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، دار الفكر.

7-ابن القيم، **التفسير**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث الإسلامية، شيخ ابراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1410هـ.

8-ابن القيم، **الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافِي**، دار المعرفة، 1418هـ، 1997م

9-ابن القيم، **الروح**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ، 1975م.

10-ابن القيم، **عُدَّة الصابرين**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة: دار التراث، المدينة المنورة، ط3، 1989م.

11-ابن القيم، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1973م.

12-ابن باديس، **كتاب التفسير**، جمع توفيق شاهين، ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1995م.

13-ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

14-ابن حبان، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1977م.

15-ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل بيروت، ط1، 1992م.

16-ابن حجر، **الدرر الكامنة**، تحقيق: د. محمد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

17-ابن حزم الظاهري، **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

18-ابن حنبل، **المسند**، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

19-ابن رشد، **فلسفته** (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة)، مراجعة: مصطفى عبد الجواد المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة.

20-ابن سهل العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

21-ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي**، تحقيق: محمد الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط1، 2001م.

22-ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا تونس.

23-ابن عاشور، **أليس الصبح بقريب**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1967م.

24-ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الميساوي، دار النفائس، الأردن ط2، 2001م.

25-ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1994م.

26-ابن عثيمين، **شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي**، دار الوطن، الرياض، ط1، 1416هـ.

27-ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد الله الأنصاري، وعبد العال السيد، الدوحة، 1985م.

28-ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

29-ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

30-ابن ماجه، **السنن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

31-ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1.

32-أبو بكر الدينوري، **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ.

33-أبو داود، **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

34-أبو نعيم، **حلية الأولياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ.

35-أبو يعلى، **المسند**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1984م.

36-الإمام الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

37-الآمدي، **الإحكام**، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404م.

38-البخاري، الجامع **الصحيح**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1987م.

39-البغوي، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1983م.

40-البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م.

41-الترمذي، **السنن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

42-الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.

43-الجصاص، **الفصول في الأصول**، تحقيق: عجيل النشمي، وزارة الأوقاف، دولة الكويت، ط1، 1405هـ، 1985م.

44-جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

45-الجوهري، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1987م.

46-الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

47-الحميدي، **تفسير غريب ما في الصحيحين**، تحقيق: زبيدة عبد العزيز مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1415هـ، 1995م.

48-الرازي، **المحصول في علم الأصول**، تحقيق: طه جابر العلواني، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400هـ.

49-الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط3، 1419هـ.

50-الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.

51-الراغب الأصبهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة ، 1428هـ.

52-السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

53-السمعاني، **قواطع الأدلة في الأصول**، تحقيق: محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

54-سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق . القاهرة.

55-السيوطي، **الدرر المنثور**، دار الفكر بيروت 1993م.

56-الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: الشيخ عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت 1996م.

57-شمس الحق آبادي الهندي، **عون المعبود**. دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995م.

58-الشوكاني، **فتح القدير**، **دار** الكلم الطيب، دمشق، ظ1، 1414هـ.

59-صالح بن حميد وآخرون، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، دار الوسيلة، جدة، ط4.

60-الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

61-عبد الحميد مدكور، **في الفلسفة الإسلامية**، دار الثقافة العربية، طبعة سنة 2000م.

62-عبد الرحمن حبنكه **الميداني**، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، ط1،1399هـ.

63-العز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، تحقيق: محمود الشنقيطي، دار المعارف، بيروت.

64-العسكري، **الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه**، تحقيق: مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ.

65-علي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ.

66-عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، الشركة الجزائرية للنشر، ط1، 1968م.

67-عمار طالبي، **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ونقده للفلسفة اليونانية**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.

68-العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

69-الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992م.

70-الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، دار إحياء التراث العربي، بيروت دون تاريخ.

71-الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت.

72-القاسمي، **محاسن التأويل**، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

73–الكندي، **رسائله الفلسفية**، تحقيق: عبد الهادي أبي ريدة، دار الفكر العربي ط1، 1950.

74–مازن الفريح، **الرائد – دروس في التربية والدعوة**، دار المنطلق، ط1، 1418هـ.

75–المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، **دار** الكتب العلمية، بيروت.

76–المرادي، **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، وآخرين، مكتبة الرشد، الرياض، 1421هـ.

77–المراغي، **التفسير**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

78–مسلم، **الجامع الصحيح**، دار الجيل بيروت + دار الآفاق الجديدة . بيروت.

79–المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1410هـ.

80–المناوي، **فيض القدير**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.

81–نجم الدين الطوفي، **شرح مختصر الروضة**، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ.

82–النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

83–الهروي، **منازل السائرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ، 1988م.